فلما أراد اللهُ مِنْ غَضّ البصر وحفظ الفرج أكّدَهُ بالتكرار؛ وخصّ النساء فيه بالذكر على الرجال.

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾:

وذلك حرَامٌ؛ لأنّ النظر إلى ما لا يحل شَرْعاً يسمى زِناً.

فقال أبو هريرة: سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا كتب على ابن آدم حظّه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فالعينان تَزْنِيَان، وزِنَاهُما النظر، واليدان تزْنِيَان وزناهما البطش؛ والرِّجْلاَن تزنيان، وزِنَاهُما المشي؛ والنفس تَمَنَّى وتشتهي؛ والفرج يصدق ذلك أو يكذّبه»[٧٣].

وكما لا يحلُّ للرجل أنْ ينظُرَ إلى المرأة فكذلك لا يحلُّ للمرأة أن تنظرَ إلى الرجل، فإن علاقته بها كعلاقتها به، وقصده منها كقَصْدِها منه. وقد روت أم سلمة قالت: كنْتُ أنا وعائشة ـ وفي رواية وميمونة ـ عند النبي ﷺ، فاستأذن عليه ابنُ أم مكتوم، فقال لنا: «أحتَجِبْنَ منه»؟ فقلنا: أو ليس أعمى؟ فقال النبي ﷺ: «أفَعَمْيَاوَانِ أنتما»[٧٤].

فإن قيل: يعارِضُه ما رُوِي أنَّ النبيَّ ﷺ قالت له فاطمة بنت قيس في شأن العدّة في بيت أم شريك، فقال لها: «تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعْتَدِّي في بيت ابن أم مكتوم؛ فإنه رجل أعمى تَضَعِين ثيابك عنده»[٧٥].

قلنا: قد أوعَبْنَا القولَ في هذا الحديث في الشرح من جميع وجوهه، وسترونه في

---

(٧٣) انظر: (مسند أحمد بن حنبل: ٣٧٢/٢، ٤١١، ٥٢٨، ٥٣٥. والمعجم الكبير للطبراني: ١٩٢/١٠. ومجمع الزوائد: ٢٥٦/٦، ١٢٥/٧. وتلخيص الحبير: ٢٢٥/٣. ونصب الراية للزيلعي: ٢٤٨/٤).

(٧٤) انظر: (سنن الترمذي: ٢٧٧٨. وسنن أبي داود: ٤١١٢. ومسند أحمد بن حنبل: ٢٩٦/٦. وتاريخ بغداد: ٣٣٩/٨. وموارد الظمآن: ١٤٥٧. ومشكل الآثار: ١١٦/١. السنن الكبرى: ٩١/٧).

(٧٥) انظر: (صحيح مسلم، الباب: ٦ من الطلاق. وسنن النسائي، الباب: ٢٢ من النكاح. والسنن الكبرى: ١٧٧/٧، ٣٤٢. وتفسير ابن كثير: ١٨٠/٨. وتفسير القرطبي: ٢٢٨/١٢).

مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[١].

﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ ثم أنتم عقلاءُ ناطقون تتصرَّفون فيما هو قِوامُ معايشكم، فلم يكن ليخلقكم عَبَثًا، ومن قَدَر على هذا فهو أهلٌ للعبادة والتسبيح.

ومعنى: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: نساءً تسكنون إليها. ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: من نِطَفِ الرجال ومن جنسكم. وقيل: المراد حوَّاء، خلقها من ضِلَع آدم. قاله قتادة[٢]. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قال ابن عباس ومجاهد: المودَّة: الجماع، والرحمة: الولد. وقاله الحسن. وقيل: المودَّة والرحمة عَطْفُ قلوبِهم بعضِهم على بعض[٣]. وقال السُّدِّي: المودةُ: المحبةُ، والرحمةُ: الشفقة[٤]. ورُوي معناه عن ابن عباس قال: المودَّةُ: حبُّ الرجل امرأتَه، والرحمة: رحمتُه إيَّاها أن يُصيبَها بسوء[٥]. ويُقال: إنَّ الرجل أصلُه من الأرض، وفيه قوَّةُ الأرض، وفيه الفَرْجُ الذي منه بُدئ خَلْقُه، فيحتاج إلى سَكَن، وخُلقتِ المرأةُ سكناً للرجل؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ الآية، وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ فأوَّلُ ارتفاقِ الرجل بالمرأة سكونُه إليها مما فيه من غليَان القوَّة، وذلك أنَّ الفرجَ إذا تُحمِّلَ فيه هيَّجَ ماءَ الصلب إليه، فإليها يسكن، وبها يتخلص من الهِياج، وللرجال خُلِقَ البُضْعُ منهنَّ؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ [الشعراء: ١٦٦] فأعلمَ اللهُ عزَّ وجلَّ الرجالَ أنَّ ذلك الموضعَ خُلِقَ منهنَّ للرجال، فعليها بذلُه في كلِّ وقتٍ يدعوها الزوج، فإن منعَتْه فهي ظالمةٌ وفي حرجٍ عظيم، ويكفيك من ذلك ما ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة قال:

---

(١) إعراب القرآن ٣/ ٢٦٩.

(٢) مجمع البيان ٢١/ ١٩، وقول قتادة في النكت والعيون ٤/ ٣٠٥.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٥٣، وذكر القول الأول عن مجاهد، وهو في النكت والعيون ٤/ ٣٠٥ عن الحسن، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٣ عن مجاهد والحسن وعكرمة.

(٤) النكت والعيون ٤/ ٣٠٥، ومجمع البيان ٢١/ ١٩.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ٢٦٩.

ابنِ عباس ومجاهد[١]. وقال ابنُ عباس: أهلُ الذكرِ: أهلُ القرآن[٢]. وقيل: أهل العلم[٣]، والمعنى متقاربٌ.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ قيل: «بالبينات» متعلق بـ «أرسلنا». وفي الكلام تقديمٌ وتأخير، أي: ما أرسلنا من قبلكَ بالبينات والزُّبُر إلَّا رجالاً ـ أي: غير رجال، فـ «إلَّا» بمعنى غير، كقوله: لا إله إلا الله، وهذا قولُ الكلبيِّ[٤] ـ نوحِي إليهم. وقيل: في الكلام حذفٌ دلَّ عليه: «أرسلنا»، أي: أرسلناهم بالبيناتِ والزبر[٥]. ولا يتعلق «بِالبيِّناتِ» بـ «أرسلنا» الأوَّل على هذا القول؛ لأنَّ ما قبل «إلَّا» لا يعملُ فيما بعدها، وإنما يتعلقُ بـ «أرسلنا» المقدَّرة، أي: أرسلناهم بالبيِّنات. وقيل: مفعول بـ «تعلمون» والباء زائدة[٦]، أو نُصب بإضمار أعني[٧]، كما قال الأعشى:

وليس مُجِيراً إن أتى الحيَّ خائفٌ ولا قائلاً إلَّا هو المتعيَّبا[٨]

أي: أعني المتعيِّب. والبينات: الحُجَج والبراهين. والزُّبُر: الكتب. وقد تقدَّم في آل عمران[٩]. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ يعني: القرآن. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ في هذا الكتاب من الأحكام والوعد والوعيد بقولِك وفعلِك؛ فالرسول ﷺ مبيِّن عن الله عزَّ وجلَّ مرادَه ممَّا أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة، وغيرِ ذلك مما لم

---

(١) أخرجه الطبري عنهما ١٤/ ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٢٨ - ٢٢٩ عن ابن زيد، وهو كذلك في النكت والعيون ٣/ ١٨٩ ، وزاد المسير ٤/ ٤٤٩ ، وزاد نسبته ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥ لابن جبير .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٨٨ عن أبي جعفر.

(٤) أورده الطبري ١٤/ ٢٢٩ - ٢٣٠ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥ دون نسبة.

(٥) نسبه الرازي في تفسيره ٢٠/ ٣٧ إلى الفراء.

(٦) الكشاف ٢/ ٤١١ .

(٧) تفسير الطبري ١٤/ ٢٣٠ .

(٨) في ديوانه ص١٦٣ ، وتفسير الطبري ١٤/ ٢٣٠ .

(٩) سلف ٥/ ٤٤٦ - ٤٤٧ .

وأبى هريرة - (ض)

٥٤٦ - إِذَا جَاءَكُمُ الزَّائِرُ فَأَكْرِمُوهُ - الخرائطى فى مكارم الأخلاق (فر) عن أنس (ض)

٥٤٧ - إِذَا جَاءَكُمُ الْأَكْفَاءُ فَأَنْكِحُوهُنَّ ، وَلَا تَرَبَّصُوا بِهِنَّ الْحَدَثَانَ - (فر) عن ابن عمر - (ض)

٥٤٨ - إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَصْدُقْهَا ؛ فَإِنْ سَبَقَهَا فَلَا يُعَجِّلْهَا - (ع) عن أنس (ض)

٥٤٩ - إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَصْدُقْهَا ، ثُمَّ إِذَا قَضَى حَاجَتَهُ قَبْلَ أَنْ تُقْضَى حَاجَتُهَا فَلَا يُعَجِّلْهَا حَتَّى تُقْضَى حَاجَتُهَا - (عب ع) عن أنس

والمؤلف فليس المراد المتعلم فقط (وهو على هذه الحالة) أى حالة طلبه لله خالصا (مات وهو شهيد) شهادة أخروية أى فى حكم شهيد الآخرة فينال درجة شهيد الآخرة فذلك دليل حسن الخاتمة وفيه ترغيب عظيم فى طلب العلم والدوام عليه وإن طعن فى السن وأشرف على الهرم ليأتيه الموت على تلك الحالة فيكون من الشهداء (البزار) فى مسنده (عن أبى ذر) الغفارى (و) عن (أبى هريرة) معا وضعفه المنذرى وقال الهيثمى وغيره فيه هلال بن عبدالرحمن الحنفى متروك وهذا من الأباطيل التى زعم حاتم المغافرى أن مالكا حدثه بها عن ابن شهاب عن أبى سلمة عن أبى هريرة انتهى ولذلك قال المصنف فى الأصل وضعفه ٭ (إذا جاءكم الزائر) أى المسلم الذى قصد زيارتكم (فأكرموه) ندبا مؤكدا ببشر وطلاقة وجه ولين جانب وقضاء حاجة وضيافة بما يليق بحال الزائر والمزور (الخرائطى فى) كتاب (مكارم الأخلاق فر) وكذا ابن لال وعنه أورده الديلمى فعزوه اليه أولى (عن أنس) وفيه بقية ويحيى بن مسلم ضعيفان

(إذا جاءكم) أيها الأولياء (الأكفاء) طالبين نكاح من لكم عليه ولاية من النساء (فأنكحوهن) بهمزة قطع أى زوجوهن (ولا تربصوا) بحذف إحدى التاءين تخفيفا تنتظروا (بهن) يعنى بتزويجهن (الحدثان) بالتحريك أو بكسر فسكون الليل والنهار أى نوائب الدهر وعوائقه وحوادثه والمراد أنه إذا خطب موليتكم كفؤ فأجيبوه ندبا ولا تمنعوه وتنتظروا بهن نوائب الدهر وعوائقه وحوادثه من موت الولى والمولية أو غيرهما من أقاربهما وربما أدى ذلك لطول التعزيب واختلال الحال فإذا دعت المرأة وليها إلى نكاحها من كفؤ لزمه إجابتها إعفافا لها فإن امتنع فهو عاضل فيزوجها الحاكم والكفؤ كقفل لغة المماثل وعرفا التساوى فى السلامة من العيوب المثبتة للخيار وفى الحرية والنسب والدين والصلاح والحرفة (فر عن ابن عمر) ابن الخطاب ورواه عنه الحاكم ومن طريقه عنه أخرجه الديلمى فعزوه إليه كان أولى وفيه يعلى بن هلال قال الذهبى فى الضعفاء يضع الحديث

(إذا جامع أحدكم أهله) أى حليلته قال الراغب وأهل الرجل فى الأصل يجمعه وإياهم سكن ثم عبر به عن امرأته (فليصدقها) بفتح المثناة وسكون المهملة وضم الدال من الصدق فى الود والنصح أى فليجامعها بشدة وقوة وحسن فعل جماع ووداد ونصح ندبا (فان سبقها) فى الإنزال وهى ذات شهوة (فلا يعجلها) أى فلا يحملها على أن تعجل فلا تقضى شهوتها بل يمهلها حتى تقضى وطرها كما قضى وطره فلا يتنحى عنها حتى يتبين له منها قضاء أربها فإن ذلك من حسن المباشرة والإعفاف والمعاملة بمكارم الأخلاق والألطاف ، زاد فى رواية كما فى الوشاح مع الستر ومص الشفة وتحريك الثديين ويؤخذ من هذا الحديث ومابعده أن الرجل إذا كان سريع الانزال بحيث لا يتمكن معه من إمهال زوجته حتى تنزل أنه يندب له التداوى بما يبطئ الانزال فإنه وسيلة إلى مندوب وللوسائل حكم المقاصد (ع عن أنس) وإسناده حسن

(إذا جامع أحدكم أهله) حليلته (فليصدقها ثم إذا قضى حاجته) منها بأن أنزل (قبل أن تقضى) هى (حاجتها) منه (فلا يعجلها) ندبا أى لا يحثها على مفارقته بل يستمر معها (حتى) أى إلى أن (تقضى حاجتها) بأن يتم إنزالها وتسكن غلمتها . قال الازهرى القضاء لغة على وجوه مرجعها إلى انقضاء الشىء وتمامه وكلما أحكم عمله أو أتم أو خثم أو أدى

الْمُتَخَيِّلَاتُ ، وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ . لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ - (هق) عن ابن أبي أذينة الصدفي مرسلا ، وعن سليمان بن يسار مرسلا - (صح)

٤٠٩٣ - خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْعَفِيفَةُ ، الْغَلِمَةُ . عَفِيفَةٌ فِي فَرْجِهَا ، غَلِمَةٌ عَلَى زَوْجِهَا - (فر) عن أنس - (ح)

٤٠٩٤ - خَيْرُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا : أَوَّلُهَا فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ، وَآخِرُهَا فِيهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَبَيْنَ ذٰلِكَ نَهْجٌ أَعْوَجُ ، لَيْسَ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنْهُمْ - (حل) عن عروة بن رويم مرسلا - (ض)

٤٠٩٥ - خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ . فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ . وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ - (حم م ت) عن أبي هريرة - (صح)

خفنه وأطعنه فى فعل المأمور وتجنب المنهى (وشر نسائكم المتبرجات) أى المظهرات زينتهن للأجانب وهو مذموم لغير الزوج (المتخيلات) أى المعجبات المتكبرات والخيلاء بالضم العجب والتكبر (وهن المنافقات) أى يشبهن (لايدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم) الأبيض الجناحين أو الرجلين أراد قلة من يدخل الجنة منهن لأن هذا الوصف فى الغراب عزيز (هق عن ابن أبي أذينة الصدفى) بفتح الصاد والدال المهملتين وآخره فاء نسبة إلى الصدف بكسر الدال قبيلة من حمير نزلت مصر (مرسلا وعن سليمان بن يسار) ضد اليمين الهلالى أبي أيوب مولى ميمونة أم المؤمنين فقيه عابد زاهد حجة (مرسلا) قال الحافظ العراقى قال البيهقى روى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا (خير نسائكم العفيفة) أى التى تكف عن الحرام (الغلمة) أى التى شهوتها هائجة لكن ليس ذلك محموداً مطلقاً كما بينه بقوله (عفيفة فى فرجها) عن الأجانب (غلمة على زوجها) قال بعضهم خرجت ليلة فإذا بجارية كفلقة قمر فراودتها فقالت أما لك زاجر من عقل إن لم يكن لك ناه من دين قلت ما يرانا إلا الكواكب قالت فأين مكوكبها (فر عن أنس) وفيه عبد الملك بن محمد الصغانى قال ابن حبان لايجوز أن يحتج به عن زيد بن هبيرة قال الذهبى تركوه ورواه ابن لال ومن طريقه أورده الديلمى مصرحا فلو عزاه المصنف للأصل لكان أصوب .

(خير هذه الأمة أولها) يعنى القرن الذى أنا فيه كما فى الرواية الآخرى (وآخرها) ثم بين وجه ذلك بقوله (أولها فيهم رسول الله) « الذى أرسله بالهدى ودين الحق » (وآخرها فيهم عيسى ابن مريم) روح الله وكلمته (وبين ذلك نهج أعوج ليس منك ولست منهم) والنهج هنا البهر بالضم وهو شر الوادى وانقطاع النفس من الأعياء كذا فى القاموس كغيره والأعوج ضد المستقيم والمراد هنا اعوجاج أحوالهم (حل عن عروة بن رويم مرسلا)

(خير يوم طلعت فيه) فى رواية عليه (الشمس) قال القرطبى خير وشر يستعملان للفاضلة ولغيرها فاذا كانت للفاضلة فأصلهما أخير وأشر على وزن أفعل وهى هنا للفاضلة غير أنها مضافة لنكرة موصوفه (يوم الجمعة) وذلك لأن (فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة) قال القاضى بين الصبح وطلوع الشمس واختصاصه بوقوع ذلك فيه يدل على تميزه بالخيرية لأن خروج آدم فيه من الجنة سبب لوجود الذرية الذين منهم الأنبياء والأولياء وسبب للخلافة فى الأرض وإنزال الكتب وقيام الساعة سبب تعجيل جزاء الأخيار واظهار شرفهم فزعم أن وقوع هذه القضايا فيه لايدل على فضله فى حيز المنع قال القاضى وقد عظم الله هذا اليوم ففرض على عباده أن يجتمعوا فيه ويعظموا فيه خالقهم بالطاعة لكن لم يبينه لهم بل أمرهم بأن يستخرجوه بأفكارهم وواجب على كل قبيل اتباع ما أدى اليه اجتهاده صواباً أو خطأ كما فى المسائل الاجتهادية فقالت اليهود هو يوم السبت لأنه يوم فراغ وقطع عمل فان الله فرغ من السماء والأرض فيه فينبغى انقطاعنا عن العمل فيه والتعبد

شرح العلامة المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي على:

النصيحة الكافية

للعلامة سيدي: أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي (زروق)"

الطبعة الأولى

قوله: (والرفق بالمرأة حتى يلتقي ماؤها وماء الرجل موجب للمحبة لها وله) قال ابن عرضون: قال في الإيضاح: متى اجتمع الماءان منه ومنها في وقت واحد كان ذلك الغاية في حصول اللذة والمودة والتعطف وتأكيد المحبة وإن اختلطا اختلاطا قريبا كانت اللذة والمودة على قدر ذلك. اهـ

وفي الإحياء: ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضا نهمتها فإن إنزالها ربما يتأخر فتهيج شهوتها ثم القعود عنها إيذاء لها والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا إلى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال الذ عندها ليشتغل الزوج عنها بنفسه فإنها ربما تستحيي. اهـ

وفي المدخل وينبغي له إذا قضى وطره أن لا يعجل بالقيام لأن ذلك مما يشوش عليها بل يبقى هنيئة حتى يعلم أنها قد انقضت حاجتها والمقصود مراعاة أمرها لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي عليهن ويحض على الإحسان إليهن وهذا موضع لا يمكن فيه الإحسان إليها من غيره فليجتهد في ذلك جهده والله المسؤول في التجاوز عما يعجز عنه المرء.

وفي الجامع: إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها فإن سبقها فلا يعجلها خرجه أبو يعلى عن أنس قال المناوي و إسناده ضعيف لكن له شواهد ومعنى فليصدقها فليجامعها بشدة وقوة وحسن فعل وفيه أيضا إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها خرجه عبد الرزاق وأبو يعلى عن أنس قال المناوي: فيه راو مجهول وبقية رجاله ثقات وفيه أيضا: إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتنح حتى تقضي حاجتها كما يجب أن يقضي حاجته خرجه ابن عدي عن طلق بن عدي، قال المناوي بإسناد ضعيف اهـ والمراد بالالتقاء في أول خروج مائها فقط قال في شرح الوغليسية يسرع بإخراج ذكه عند إحساسه بمائها لأنه يضعف اهـ

قوله: **(ومن أراد ذلك فا يدن منها حتى تعلو نفسها وتغار عيناها وتطلب التزامه)** أي أن ذلك يدل على هيجان شهوتها قال في شرح الوغليسية: من آداب الجماع تقديم الملاعبة ليطيب قلب الزوجة فيتيسر مرادها حتى إذا علا نفسها وكثر قلقها وطلبت التزام الرجل دنا منها. اهـ

قوله: (ومقدمات ذلك أن يكثر ملاعبتها وغمز ثدييها وحك ذكره بشفريها) قال في المدخل وينبغي له إذا عزم على الاجتماع بأهله أن يتحرز مما يفعله بعض العوام وهو منهي عنه وهو أن يأتي زوجته وهي على غفلة بل حتى يلاعبها ويمازحها بما هو مباح مثل الجسة والقبلة وما شاكل ذلك حتى إذا رأى أنها قد انبعثت لما هو يريده منها وانشرحت لذلك وأقبلت عليه فحينئذ يأتيها وحكمة الشرع في ذلك بينة وذلك أن المرأة تحب من الرجل ما يحب منها فإذا أتاها على غفلة قد يقضي هو حاجته وتبقى هي فقد يشوش عليها ذلك وقد لا ينصان دينها، فإذا فعل ما ذكر تيسر عليها الأمر وانصان دينها. اهـ

قرة العيون بشرح نظم ابن يامون

أبي محمد قاسم بن أحمد بن موسى ابن يامون التليدي الأخماسي

في

آداب النكاح

وما يتعلق به مما يجب أو يباح

لأبي عبد الله محمد التهامي بن المدني كنون الإدريسي الحسيني

الفاسي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ = ١٩١٥م

بعناية
بسام عبد الوهاب الجابي

الجفان والجابي
للطباعة والنشر

دار ابن حزم

وَٱلْغِنَـىٰ أَيْضًـا وَٱطِّـلاعُ ٱلإِنْسَـانِ
عَلَـىٰ ٱلَّـذِي يُشَـوِّقُـهُ إِلَـىٰ ٱلجِنَـانِ
آفَـاتُـهُ ٱلْعَجْـزُ عَـنِ ٱلْحَـلالِ
وَعَـنْ حُقُـوقِهَـا فـي كُـلِّ حَـالِ

ٱلثَّانِيَةُ : قَالَ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ [أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَىٰ] ٱلْوَنْشَرِيسِيُّ [٨٣٤ ـ ٩١٤ هـ = ١٤٣٠ ـ ١٥٠٤ م] فِي ٱخْتِصَارِهِ « نَوَازِلِ [أَبِي ٱلقَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ] ٱلْبُرْزُلِيِّ » مَا نَصُّهُ : وَقَالَ ٱلشَّيْخُ ٱلصَّالِحُ أَبُو بَكْرٍ ٱلوَرَّاقُ : كُلُّ شَهْوَةٍ تُقَسِّي ٱلْقَلْبَ إِلاَّ شَهْوَةَ ٱلْجِمَاعِ ، فَإِنَّهَا تُصَفِّيهِ ، وَلِهذَا كَانَ ٱلأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلامُ يَفْعَلُونَهُ ، [« تفسير القرطبي » ، سورة النساء/الآيتان : ٥٤ و٥٥] وَفِي ٱلْحَدِيثِ : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاثٌ : ٱلنِّسَاءُ ، وٱلطِّيبُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي ٱلصَّلاةِ » . [النسائي ، رقم : ٣٩٣٩ ، ٣٩٤٠ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ١١٨٨٤ ، ١٢٦٤٤ ، ١٣٦٢٣ ؛ وراجع « كشف الخفاء » ، رقم : ١٠٨٩ ، وما جمعه من أقوال العلماء حول زيادة : « من دنياكم ثلاث »] .

ٱلثَّالِثَةُ : وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي فَضْلِ ٱلنَّفَقَةِ عَلَىٰ ٱلْعِيَالِ بِٱلنِّيَّةِ ٱلصَّالِحَةِ وَمِنْ حَلالٍ .

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : « إِنَّ مِنَ ٱلذُّنُوبِ ذُنُوبًا لا يُكَفِّرُهَا صَلاةٌ وَلا صَوْمٌ وَلا جِهَادٌ ، إِلاَّ ٱلسَّعْيُ عَلَىٰ ٱلْعِيَالِ » أَوْ كَمَا قَالَ .

يفصِّله. وقد تقدَّم هذا المعنى مستوفًى في مقدِّمة الكتاب[١]، والحمد لله. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيتَّعظون.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: بالسيئات، وهذا وعيدٌ للمشركين الذين احتالوا في إبطال الإسلام. ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس: كما خُسِفَ بقارون[٢]، يقال: خَسفَ المكانُ يَخسِف خُسوفاً: ذهب في الأرض، وخسف اللهُ به الأرضَ خَسْفاً[٣]، أي: غاب به فيها، ومنه قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]. وخَسَف هو في الأرض وخُسِف به. والاستفهامُ بمعنى الإنكار، أي: يجب ألَّا يأمَنوا عقوبةً تَلحقهم كما لحقت المكذِّبين[٤]. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ كما فعل بقوم لوطٍ وغيرِهم. وقيل: يريد يومَ بدر[٥]؛ فإنهم أُهلكوا ذلك اليوم، ولم يكن شيءٌ منه في حسابهم.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ أي: في أسفارهم وتصرُّفهم؛ قاله قتادة[٦]. ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: مسابقين اللهَ ولا فائتيه. وقيل: «في تَقَلُّبِهِم»: على فراشهم أينما كانوا[٧]. وقال الضحَّاك: بالليل والنهار[٨].

---

(١) ١/ ٦٤ - ٦٨.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٦٤ دون نسبة، وذكره عن ابن عباس ابن الجوزي ٣/ ٥٩ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ من سورة الأنعام.

(٣) في النسخ: خسوفاً، والمثبت من الصحاح (خسف) والكلام منه.

(٤) الوسيط للواحدي ٣/ ٦٤.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٦٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٣٤.

(٧) ينظر الوسيط ٣/ ٦٤.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٩، وزاد المسير ٤/ ٤٥١، وأخرجه الطبري ١٤/ ٢٣٤ عن ابن جريج.

الثالثة: يقال: إنَّ سليمانَ عليه السلام كان أكثرَ الأنبياء نساءً. والفائدةُ في كَثْرة تزوُّجه أنه كان له قوةُ أربعين نبيًّا، وكلُّ مَن كان أقوى فهو أكثرُ نكاحاً. ويقال: إنه أراد بالنِّكاح كثرةَ العشيرة؛ لأنَّ لكلِ امرأةٍ قبيلتين، قبيلة من جهة الأبِ، وقبيلة من جهةِ الأم، فكلَّما تزوَّج امرأةً صَرَفَ وجوهَ القبيلتين إلى نفسه، فتكونُ عَوناً له على أعدائه.

ويقال: إنَّ كلَّ مَن كان أتقى فشهوتُه أشدُّ؛ لأنَّ الذي لا يكون تقيًّا فإنَّما ينفرج بالنظر والمسِّ، ألا ترى ما رُوي في الخبر: «العينان تزنيان، واليدان تزنيان»[1]. فإذا كان في النظر والمسِّ نوعٌ من قضاء الشهوة، قلَّ الجماع، والمُتَّقي لا ينظرُ ولا يَمسُّ؛ فتكونُ الشهوةُ مجتمعةً في نفسه، فيكونُ أكثرَ جماعاً. وقال أبو بكر الورَّاق: كلُّ شهوةٍ تقسِّي القلبَ إلا الجماعَ؛ فإنه يُصفِّي القلب؛ ولهذا كان الأنبياءُ يفعلون ذلك[2].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ يعني بالنبيِّ ﷺ؛ لأنه تقدَّم ذكرُه، وهو المحسود. ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ أَعْرَضَ فلم يؤمن به. وقيل: الضمير في «به» راجع إلى إبراهيم. والمعنى: فمِن آل إبراهيمَ مَن آمن به، ومنهم مَن صدَّ عنه. وقيل: يرجعُ إلى الكتاب[3]. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

قد تقدَّم معنى الإصلاء أوَّلَ السورة[4]. وقرأ حُميد بن قيس: «نَصليهِم»، بفتح

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٣٦١ ، والحديث أخرجه مطولاً أحمد (٨٥٢٦)، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٣٦١ .

(٣) ينظر تفسير أبي الليث ١/ ٣٦١ ، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ١٨ : قال الجمهور: هو عائد على القرآن الذي في قوله تعالى : ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النساء: ٤٨].

(٤) ص٩١-٩٢ من هذا الجزء .

لم يهتد بها من اراد الله هدايته وتقوم الحجة على من لم يهتد (قوله اى اصلكم آدم) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف و يصح ان يبقى الكلام على ظاهره لان النطفة ناشئة من الغذاء وهو ناشئ من التراب (قوله ثم اذا أنتم بشر) عبر بثم اشارة الى تراخى أطواره لكونه أولا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر اطواره وأتى بعدها باذا الفجائية اشارة الى انه لم يفصل بين تلك الاطوار و بين البشرية فاصل وان كان الكثير الاتيان بها بعد الفاء (قوله أزواجا) اى زوجات (قوله من ضلع آدم) اى الايسر القصير وهو نائم فلما استيقظ ورآها مال اليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها فقال وما مهرها فقيل له ان تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وسائر النساء) اى باقيهن (قوله مودة ورحمة) قيل المراد بالمودة الجماع والرحمة الولد وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة فاذا تخلف هذا الامر بان لم توجد بينهما محبة ولا مودة فالمناسب المفارقة (قوله ان فى ذلك) اى فياذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم (قوله لقوم يتفكرون) اى يتاملون فى تلك الاشياء ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الايمان سيما اذا تامل فى خلق الله اياه من نطفة ثم جعله بشرا سويا ثم جعل له زوجة من جنسه ولم تكن جنية ولا بهيمة واسكن بينهما المحبة والشفقة فاذا أراد جماعها زين له وجعل بينهما اللذة فاذا نزلت النطفة منه جعلها راحة له وخلق منها بشرا سويا وغير ذلك من انواع التفكرات فاذا تامل الانسان فى ذلك كان سببا فى زيادة معارفه وادبه مع ربه ولذا قال بعض العارفين لذة الجماع ربما كانت من ابواب الوصول الى الله تعالى ومنه ماروى حبب الىّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة (قوله ومن آياته خلق السموات والارض) اى انشاؤهما من العدم الى الوجود (قوله اى لغاتكم) اى بان خلق فيكم علما ضروريا تفهمون به لغاتكم ولغات بعضكم على اختلافها (قوله والوانكم) أى فجعلكم الوانا مختلفة منكم الابيض والاسود والمتوسط وغاير بين اشكالكم حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما يختلفان فى شئ من ذلك وان كانا فى غاية التشابه وانما قرن هذا بخلق السموات والارض وان كان من جملة خلق الانسان اشارة الى انه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع (قوله بفتح اللام وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى ذوى العقول وأولى العلم) أى وهم أهل المعرفة الذين لا تحجبهم المصنوعات عن صانعها بل يشهدون الصانع فى المصنوعات قال العارف

وفى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد

(قوله منامكم بالليل والنهار) قيل فى الآية تقديم وتاخير والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار حذف حرف الجر لاتصاله بالليل والاحسن أن يبقى على حاله والنوم بالنهار من جملة النعم لا سيما فى اوقات القيلولة فى البلاد الحارة (قوله بارادته) أى فلا قدرة لاحد على اجتلابه (قوله راحة لكم) اى من آثار التعب الحاصل لكم (قوله لقوم يسمعون) غاير بين رؤس الآى تفننا فان اهل العقل هم اهل الفكر والسمع (قوله ومن آياته يريكم البرق) الجار والمجرور خبر مقدم ويريكم مؤول بمصدر مبتدا مؤخر وحذفت أن من الفعل لدلالة ما قبله وما بعده عليه وهكذا يقال فيما تقدم وما ياتى (قوله ان تقوم السماء والارض) أى تثبت وتستقر (قوله من غير عمد) بفتحتين اسم جمع لعمود وقيل جمع له أو ضمتين جمع عمود كرسل ورسول (قوله من الارض) متعلق بدعاكم (قوله فى الصور) أى نفخة البعث فتخرج منه الارواح الى أجسادها لان فيه طاقات بعدد الارواح فتجتمع فيه ثم تخرج

اى اصلكم آدم (ثم اذا أنتم بشر) من دم ولحم (تنتشرون) فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا) خلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (لتسكنوا اليها) وتالفوها (وجعل بينكم) جميعا (مودة ورحمة أن فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يتفكرون) فى صنع الله تعالى (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم) اى لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما (والوانكم) من بياض وسواد وغيرهما وانتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة (ان فى ذلك لآيات) دلالات على قدرته تعالى (للعالمين) بفتح اللام وكسرها أى ذوى العقول واولى العلم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) بارادته راحة لكم (وابتغاؤكم) بالنهار (من فضله) أى تصرفكم فى طلب المعيشة بارادته (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم) أى اراءتكم (البرق خوفا) للمسافر من الصواعق (وطمعا) للمقيم فى المطر (وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها) اى يبسها بان تنبت (ان فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) بارادته من غير عمد (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) بان ينفخ اسرافيل فى الصور للبعث من القبور